معالم التجدد والانغلاق
في الخطاب الاعلامي الاسلامي المعاصر

د. محمد بديوي الشمري
الجامعة المستنصرية

اولا: المفهوم الاعلامي للخطاب:

لغرض تأصيل مفهوم الخطاب الاعلامي الاسلامي الذي تمت الاشارة له في الفصل الاول، نحـــاول في هذا المبحث تقديم تعريف اشمل للخطاب الاعلامي وبشـــكل خاص خطاب الحـــركات والاحـــزاب والتيارات الاسلامية في العراق.

الخطاب مصدر من خاطبه خطابا ومخطبة، ويشـــير الاصل المعجمي لمفردة (الخطاب) الى انها تعني "مراجعة الكلام , وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا .. وذهب ابو اسحـــاق الى ان الخطبـــة عند العرب الكلام المنثور المسجع ونحوه , والخطبة مثل الرسالة التي لها اول واخر" (١). وترد مفردة الخطاب في القرآن الكريم في ستة مواضع وبصيغتي المصدر والفعل , حيث حدد المفسرون معناها حسب السياق القرآني الذي وردت فيه المفردة , لكن جميع التفسيرات تلتقي عند القول ان مفردة الخطاب تؤدي معنى البيان والبـــلاغ الواضح لرســـالة محددة المعنى والاهداف .

ويلاحظ ان حدود المعنى للمفردة تتســـع وتضيق , من مفســـر الى اخر , ففي عبـــارة (فصل الخطاب) الواردة في الاية الكريمة (وشددنا ملكه وأتينه الحكمة وفصل الخطاب) (٢) يعرف صاحب تفسير مجمع البـــيان (فصل الخطاب) بأنه "العلم في القضاء" (٣) فيما يرى صاحب تفســـير الميزان ان فصل الخطاب معناها "تفكيك الكلام الحاصل من مخاطبة واحد لغيره وتميز حقه من باطله وينطبق ذلك على القضاء بـــين المتخاصمين" (٤) اما تفسير الجلالين ، فيوسع معنى فصل الخطاب الى ابعد مدى بوصفه بـــ "البيان الشافي في كل قصد"(٥).

وهذا نموذج لحالة الخلاف الموجودة في مصادر التراث العربي حول معنى وحدود الخطاب سواء كان ذلك يتعلق بالخطاب القرآني او بالخطاب الادبي البلاغي عموما حيث " جعلت تأثيرات الخطاب البلاغي العربي والمفاهيم التي وضعها اصحاب المذاهب طبقا لمواقف خاصة لاسيما بعد اتساع المفهوم ليشمل كلام الله، جعلت مفهوم الخطاب لا يقتصر على دلالة الالفاظ فحسب بل تجاوزها الى صياغة الالفاظ او شكل الكلام "(٦) ويتجسد ذلك الخلاف في تقسيم بعض اولئك البـــلاغيين للخطاب حـــيث يضعونه في ثلاث فئات؛ "منه مايرفل ثوب لفظه على جسد معناه، وهذا هو الاسهاب ،ومنه ما ثوب لفظه كثوب المؤمن وهذا هو الايجاز ومنه ما خيط ثوب لفظه على جسد معناه وهذا هو المساواة "(٧). ويعد الخطاب بالمعنى الاصطلاحي جديدا في الادبيات العربية" تمت

استعارته ليقابل مفردة (DISCOURS) الانكليزية وتتبع حداثته من ترجمته العربية الحديثة التي جاءت بمقابلات معجمية كثيرة تقترب تارة وتبتعد اخرى عن حدودها"(٨).

ويذهب الباحثون اتجاهات متعددة في تعريف الخطاب وتحديد حدود استعمالاته , فهناك من يتناوله من زاويه فلسفية , وهناك من يتناوله من زاويه سيميائية , وهناك قليل من يتعامل مع الخطاب من زاوية اتصالية , وهو مايهمنا في هذا المقام , والخطاب وفق الفهم الاخير هو :" مجموعة المفردات التواصلية المعبرة عن الرسالة الاتصالية التي يتداولها الشركاء في اية منظومة اجتماعية محددة" (٩).

ويعد الخطاب وفق هذا التوصيف نتاجا مشتركا مابين صاحب الخطاب وجمهوره المستهدف والبيئة او المناخ السائد أي انه نتاج مشاركة بين المرسل والمستقبل والبيئة الاتصالية"فمن بين ما ينتهي اليه الاتصال ،المشاركة في المعاني اي المشاركة في المعلومات او الافكار او المهارات او الميول او الاتجاهات او المشاعر بين المرسل والمستقبلين"(١٠).

وقد حظيت موضوعة علاقة المتلقي، وحدود دوره في التأثير على صياغة الرسالة الاتصالية او الخطاب بالكثير من البحث لأنها تتعلق بعملية التلقي ذات الاهمية الكبيرة في الدراسات الاتصالية. ويرى محمد عابد الجابري ان المتلقي "مهما كانت درجة وعيه بما يفعل , فأنه لابد ان يمارس في ذلك النص ما يمارسه صاحب الخطاب عند بناء خطابه عن طريق ابراز اشياء والسكوت عن اشياء، تقديم اشياء وتأخير اشياء , فيساهم القارئ (المتلقي) هكذا في انتاج وجهة النظر ، التي يحملها الخطاب صراحة او ضمنا"(١١).

ذلك ان تلقي الرسالة الاتصالية ليس عملية سلبية , بل هي عملية تفاعلية يملك فيها المتلقي مساحة واسعة لعرض تصوره وموقفه من مضمون الرسالة سواء عبر اقامة قراءته عليها كما سبق التوضيح او عبر عوامل اخرى منها "العوامل الانتقائية المتمثلة بالتعرض الانتقائي والقرار الانتقائي , حيث تشير الانتقائية الى الى انحياز افراد الجمهور نحو اتجاهاتهم "(١٢) بالمقابل فأن صاحب الخطاب نفسه يضع الخطاب شكلا ومضمونا في اطار ادراكه لحدود المشترك من الاطار الدلالي بينه وبين الجمهور المستهدف "فكلما تشابه اطارهما الدلالي زاد احتمال ان تعني الرسالة الشئ نفسه عن كل منهما"(١٣).

لذا فقد اصبحت احدى اساسيات مهارة صاحب الخطاب او صانعه ان يضع خطابه في حدود ذلك الاطار الدلالي تجنبا لسوء الفهم او الفشل في ايصال الرسالة وتحقيق اهداف العملية الاتصالية, سواء كان ذلك في اطار البيئة الواحدة ذات المناخ السياسي والثقافي الواحد او المناخات المتقاربة اذ ان" الخطابات المنتجة في سياق ثقافي حضاري تأريخي ليست خطابات مغلقة او مستقلة عن بعضها البعض .. وآليات الاستبعاد او الاقصاء التي يمارسها خطاب ضد خطاب اخر تعني (حضور) هذا الخطاب الاخر بدرجات بنيوية متفاوته في بنية الخطاب الاول، هذا مع افتراض غيابه التام على مستوى المنطوق والمفهوم" (١٤).

ويتعزز ظهور السمة المشتركة في صناعة الخطاب بين المرسل والمتلقي بشكل اوضح في الاهداف التي يؤديها ذلك الخطاب حيث يبدو المتلقي حاضرا في الصياغة والمضمون؛ كهدف ومرجعية واطار عام للخطاب في الوقت ذاته، ويمكن اجمال تلك الوظائف على النحو التالي :(١٥)

1- الوظيفة الاخبارية او الابلاغية: وهدفها ابلاغ المتلقي مضمون الخطاب ومحاولة التأثير فيه .

2- الوظيفة الانشائية: وتمثل جوهر مضمون الخطاب, اذ يصاغ المضمون بشكل يجعله مناسبا لمحاولة

احداث التأثير في المتلقي, وان هذه الوظيفة تجعل مضمون الخطاب هدفا بحد ذاته.

3- الوظيفة المرجعية: وتضمن وجود شفرة مفهومة من قبل طرفي الخطاب , حيث يجسد الخطاب مضامينه باللغة التي تعد عاملا اساسيا في عملية الاتصال الجماهيري.

4- الوظيفة: التواصلية وتضمن بقاء الصلة قائمة بين طرفي الخطاب اثناء عملية التخاطب.

ان التطابق الواضح بين وظائف الخطاب ووظائف الرسالة الاتصالية تؤكد الطبيعة الاتصالية للخطاب ويتجسد ذلك ايضا في الاساليب التالية التي يعبر الخطاب بواسطتها عن تلك الوظائف :(١٦)

1- الخطاب المباشر :يتسم مضمون الخطاب بالمباشرة , وهو خطاب حواري يستغني عن الكثير من التقنيات المجازية ويمتلك احالات بسيطة الى الشئ.

2- الخطاب الضمني:يهدف الى ايصال المعنى من خلال رموز تأويلية غير مباشرة اذ يتميز بامتلاكه قدرة حدسية بالمرجعية , وعلى توليد مستويات من التأويل الى مالانهاية .

3- الخطاب الايحائي: يتحدث عن موضوع معين قد يكون في بعض جوانبه مباشرا ولكنه يومئ بافكار اخرى , فهو يهدف الى ايصال مضمونه عبر رموز مباشرة او ضمنية.

ويثار في هذا السياق سؤال مهم حول ماهية مضمون الخطاب الاعلامي وهل هو مجرد مقالات الرأي والدراسات السياسية والثقافية والاجتماعية وغيرها من المواد التي تتحمل ابداء الرأي بوضوح وصراحة.. ام ان كل ما تقدمه وسيلة الاعلام يعد خطابا للوسيلة بما في ذلك الاخبار والتقارير الاخبارية التي يفترض فيها ان تكون مجرد احداث لا تملك الوسيلة غير نقلها الى الجمهور بعد معالجتها فنيا ؟.

وتتعد الاجابات على السؤال المذكور، غير ان الكثير من الدراسات تميل الى الرأي الثاني باعتبار ان وسائل الاعلام ليست مجرد اقنية يمر من خلالها الخبر او المعلومة من المصدر الى المتلقي مباشرة دون وعي باتجاهات ذلك الخبر ودون الوقوف عند الجدوى من اذاعته للناس او عدم اذاعته والتمحيص في مضمونه وما يحمله من دلالات قد تخدم وقد لاتخدم هدف الوسيلة التي تبقى رغم كل ما يقال عن رسالة الاعلام الانسانية وضوابطه المهنية والاخلاقية، تبقى ليست جمعية خيرية ينفق فيها سنويا ملايين الدولارات، فقط من اجل تنوير الناس وامتاعهم.

واذا كان الخبر كما يعرفه الباحثون في مجال الاعلام بأنه" تقرير عن حدث لم يكن معروفا عند الناس..."(١٧) فأن مابين الحادثة المجردة والتقرير الذي يكتب عنها , والمعالجات اللاحقة لذلك التقرير قبل ان يصل الى المتلقي , ثمة مساحة يصنع الخبر خلالها ويوجه بما يخدم توجهات الوسيلة واهدافها وطبيعة خطابها , "فالاخبار ليست هي الحدث , وانما هي محتوى الحدث كتب من اجل الذين لم يشاهدوه"(١٨).

واذا كانت وسائل الاعلام تعتمد القيم الاخبارية ميزانا للمفاضلة بين الاخبار فأن هذه القيم نفسها لم تعد قواعد ومحددات ثابتة وصارمه وانما باتت "تتماشى تماما مع رأي السلطة السياسية فيما ينشر وما لاينشر" (١٩). والسلطة في هذا النص ليست السلطة السياسية بالضرورة , وانما هي اية مرجعية تتبعها وسيلة الاعلام وتمول وتدار من قبلها , ولكن يكون التماهي بين تلك السلطة والقيم الاخبارية المعتمدة في وسائل اعلامها ، يكون اكبر اذا كانت السلطة سلطة سياسية ذات خطاب واضح ومعبر عن برنامج سياسي محدد, حيث تكون وسيلة

الاعلام احدى ادواتها السياسية التي يجب ان تكون بحجم المهمة الموكلة اليها . وقد اصبحت وسيلة الاعلام "عنصر من العناصر المحددة للقيم الاخبارية، والعوامل المؤثرة فيها حيث تتجلى السياسة الاعلامية لأية مؤسسة في قيمها الاخبارية"(٢٠) ولايبدو هذا الامر جديدا اوغريبا في عمل وسائل الاعلام . طالما كانت السياسة الاعلامية جزءا لايتجزء من السياسة العامة لأية سلطة او مؤسسة او هي كما تعرفها اليونسكو بأنها:" مجموعة المبادئ والمعايير والقواعد التي تحكم وتوجه سلوك الانظمة الاعلامية , والتي عادة تشتق (تستنبط) من شروط الايديولوجيا السياسية والقيم التي ترتكز اليها في بلد ما" (٢١) وعلى ذلك لاتبدو الاخبار مجرد رواية للحوادث , وانما هي صناعة وجزء اساس من خطاب وسيلة الاعلام , تحمل اهدافها وتوجهات مرجعيتها السياسية والاقتصادية والامنية .. انها مواد منتقاة ومعالجة وموجهة بعناية , تحمل وظائف واضحة.. وينطبق ذلك حتى على وسائل الاعلام العالمية الكبرى في الدول المتقدمة .

على سبيل المثال اجرى موقع (زي نيت zenit) الاخباري الامريكي تقييما لتغطية الاعلام الامريكي لاحداث الهجوم الاسرائيلي على قطاع غزة نهاية العام ٢٠٠٨ وخلص الى نتيجة ان تغطية الحدث عكست موقف الحكومة الامريكية من الحدث اكثر مما جسدت الحدث نفسه . واعتمد التقييم على بحث شمل ثلاث صحف امريكية رئيسة هي: واشنطن بوست، ونيويورك تايمز، ولوس انجلوس تايمز .

بحث الموقع في دراسته عن عبارة (اريد ألا ينام انسان الليلة في غزة)، والتي قالها رئيس الوزراء الاسرائيلي السابق ايهود اولمرت، ورغم ان العبارة نشرت في قرابة (٣٠٠) موقع صحيفة وتلفزيون واذاعة، الا ان واحدة من الصحف الثلاثة الرئيسية لم تنشرها.

تخلص الدراسة الى القول :" ليس سرا ان التغطية الاعلامية تعكس الرأي العام وفي الوقت نفسه تؤثر عليه. وانها تعكس القرارات الحكومية وفي الوقت نفسه تؤثر عليها"(٢٢).

والامر نفسه ينبطق على الاعلام الاسلامي، على الاقل على مستوى الفهم لماهية ومهمة الاخبار؛ فعندما يتحدث احد الباحثين عن وظائف الاخبار في المنظور الاسلامي , فأنه يسوق وظائف للخبر هي اقرب الى الوظائف الدعائية منها الى الوظائف الاعلامية من قبيل: " توجيه الرأي العام في بلاد المسلمين وفقا لمبادئ الاسلام وبما يخدم اهدافه، اومناصرة وتأييد القوى الاسلامية في جهادها ضد قوى الظلم والبغي في كل مكان، او الاشادة بالسلوك الاسلامي , ودعم وتأييد العناصر الاسلامية القدوة" (٢٣).

وتستخدم وسائل الاعلام عدة اساليب لتوجيه الخبر وفق مقتضياتها ليكون جزءا من خطابها، منها استخدام الالفاظ والمسميات ذات الدلالات التي تعبر عن سياستها والايديولوجيا المسيطرة عليها مثل استخدام مفردة (شهيد او قتيل) لوصف ضحايا الحروب والعمليات الامنية او استخدام وصف (قوات الاحتلال او القوات المتعددة الجنسيات) لوصف القوات الاجنبية في العراق او استخدام وصف (الحكومة الحالية) في الاشارة الى الحكومة العراقية وغيرها من المسميات , كذلك هناك اسلوب الصورة او المعادل الصوري للخبر التلفزيوني حيث يتم استخدام صورة لاتتعلق بالحدث الامني نفسه وانما صور من الارشيف لاحداث سابقة مشابهة تخدم غرض القناة وموقفها من الحدث نفسه , ايضا هناك اسلوب التوسع او الاختصار في الخبر حسب الحاجة والموقف من مضمونه.

وفي علم تحليل الخطاب لايوصف مضمون الخطاب بما يعبر عنه بالكلام او القول المجرد فقط , وانما

يأخذ بنظر الاعتبار عدة اشكال او اجراءات تطال احيانا القول او الخبر نفسه ما يشكل رسالة مضافة الى الرسالة التي يحملها الخبر "فالرسم في الصحيفة؛ قول سواء كان كاريكاتيرا او رسما تعبيريا رمزيا في عرض موضوع ما في صحيفة او مجلة , وتعد ادوات ابراز بعض العبارات عن طريق وضعها في (مانشيتات) (٢٤) قولا مضافا الى المنطوق اللغوي لعبارة المانشيت , بعبارة اخرى يعد (الابراز) قولا مضافا، كذلك (الاخفاء) عن طريق نشر رأي في زاوية صغيرة يمكن ان تخطئها عين القارئ يعد قولا من الصحيفة او المجلة"(٢٥)

ويتعزز هذا الامر في الاعلام التلفزيوني حيث تبدو وسائل معالجة الاخبار والمواد الصحفية الاخرى وابرازها اوعدم ابرازها، كثيرة ومتنوعة حيث تشكل هذه المواد عماد خطاب هذا الضرب من الاعلام الذي لامكان فيه لمقالات الرأي او الدراسات التي تحمل خطابا واتجاها صريحا الا في مساحات ضيقة جدا من دون ان يعني ذلك بطبيعة الحال ان هذا الاعلام لايملك خطابا، واتجاهات محددة، حيث تكون الاخبار هي الخطاب الذي يحمل اتجاهات واهداف الوسيلة.

ثانيا- معالم الخطاب الاسلامي المعاصر

يحظى الخطاب الاسلامي بأهتمام ملحوظ , لايقل عن الاهتمام بظاهرة الاسلام السياسي ذاتها , وذلك نظرا لما يشكله الخطاب من اهمية في فهم الظاهرة من جهة ولما يحمله ذلك الخطاب من تصعيد يصل في بعض مظاهره حد استخدام الاسلوب الهجومي في تناول القضايا والموضوعات محط اهتمامه , حيث كان الخطاب الاسلامي في الغالب "عنيفا في اسلوبه , يتحرك في عنفه داخليا وخارجيا.. حتى تحولت مسألة الاسلوب الهجومي الى عقدة في الذات والموقف , واصبح الحديث الهادئ الذي يناقش القضايا بعقلانية تعبيرا عن حالة انهزامية ترفضها الثورة" (٢٦)

ويعرف الخطاب الاسلامي بالاستناد الى عدة مظاهر يحملها اويستند عليها ذلك الخطاب مثل الانتساب او التحدث باسم الاسلام مهما كان المتحدث شخصا او مؤسسة ومهما كانت طبيعة علاقته بالاسلام؛ وعلى ذلك يعرف الخطاب الاسلامي بانه "البيان الذي يوجه باسم الاسلام الى الناس مسلمين اوغير مسلمين، لدعوتهم الى الاسلام، او تعليمه لهم وتربيتهم عليه: عقيدة او شريعة ، عبادة او معاملة، فكرا او سلوكا. او لشرح موقف الاسلام من قضايا الحياة والانسان والعالم: فردية او اجتماعية، روحية او مادية، نظرية او عملية.. ويتخذ هذا الخطاب اساليب شتى قديمة وحديثة: من الخطبة والمحاضرة والدرس والحديث والمقالة والرسالة والكتاب والندوة والبحث الميداني، والتحقيق الصحفي، والبرنامج الاذاعي والتلفزيوني والعمل الدرامي، ويمكن ان يستخدم فيه الشعر والنثر والزجل والقصة والمسرحية"(٢٧).

ويعرف الخطاب الاسلامي بالاستناد الى مرجعيته التي يستمد منها خصوصيته حيث يعرف على هذا الاساس على النحو الاتي : "الخطاب الذي يستند لمرجعية إسلامية من أصول القرآن والسنة، وأيٍّ من سائر الفروع الإسلامية الأخرى، سواء أكان منتج الخطاب جماعة إسلامية أم مؤسسة دعوية رسمية أو أهلية أم أفراداً متفرقين جمعهم الاستناد للدين وأصوله مرجعيةً لرؤاهم وأطروحاتهم، ولإدارة الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي يحيونها، أو للتفاعل مع دوائر الهُويات القطرية أو الأممية أو دوائر الحركة الوظيفية التي يرتبطون بها ويتعاطون معها".(٢٨)

وهناك من ينظر الى الخطاب الاسلامي باعتباره وسيلة للتبليغ فيضيف الوسيلة مع المضمون في تحديد ماهية الخطاب الاسلامي كما التعريف التالي: "إن الخطاب الإسلامي المعاصر، بمعنى الوسائل المتبعة في تبليغ ما انتشـــر من دعوة إلى الإســـلام في العصر الحـــديث عن طريق العلماء والمفكرين والكتاب والحـــــركيين الإسلاميين،ويشمل قسما لا يمكن تغيير مضمونه لارتباطه الوثيق بالثوابت(٢٩).

وقد شكلت اللغة التصعيدية العنيفة احد ابرز معالم الخطاب الاسلامي المعاصر حـــتى تركت تلك اللغة أثرها واضحا في الدراسات التي تناولت ذلك الخطاب وصنفته تصنيفات متعددة على اسس مختلفة لاتبتعد جميعا عن لغة العنف والتصعيد من جهة وعلاقـــة هذه اللغة بـــالعصر وبـــالغرب من جهة اخرى. فهناك من يرى في الخطاب الاسلامي. خطابين في الواقع هما : (٣٠)

اولا - الخطاب الاستيعابي المعتدل : وهو خطاب يبدأ مع مؤسس جماعة الاخوان المســـلمين في مصر حسن البنا , ويتواصل مع مجموعة من الكتاب والمفكرين الاسلاميين من امثال راشد الغنوشي وحسن الترابـــي وغيرهم وتتلخص ابرز معالم هذا الخطاب بما يلي:(٣١)

1- ان الاسلام لم ينص على نظام سياسي واجتماعي مخصوص, لكنه يزود افكارا عامة.

2- ان ينتخب الشعب الحاكم عبر الشورى.

3- اذا سمح الاسلام بالحرية الدينية , فمن باب اولى السماح بالحريات الاخرى.

4- ان الناس سواسية من حيث الحقوق والواجبات .

5- ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هو واجب جماعي وديني

6- ان الحاكم مسؤول امام مجتمعه.

ثانيا: الخطاب الاستبعادي المتشدد: وهذا الخطاب كما يرى احمد الموصلي يبدأ في المنطقة العربية مع سيد قطب ويصل الى اخرين من امثال عمر عبدالرحمن وعبودالزمر... ومن ابـــرز مقـــولات هذا الخطاب ان العالم اليوم كله يعيش حياة لا اسلامية وجاهلية , والدعوة الى حاكمية الله بأعتبارها المكون السياسي للتوحـــيد ، وهو يدعو الى اسقـــاط الدول الراهنة بأعتبـــارها دولا جاهلية , واصلاح المجتمع ولو عن طريق الثورة حـــيث تتلخص مهمة الحكومة وفق فهم هذا الخطاب في ان تكون اداة لايجاد الاخلاق والمحـــافظة عليها.. اي ان مهمة الدولة وفق هذا الفهم هي اقرب الى مهمة الشرطة التي تفرض المظاهر والتقاليد الاســـلامية كما تراها مرجعية ذلك الخطاب على الناس. وينقسم الخطاب الاسلامي ايضا على اساس مدى قربه اوبعده عن التراث والمعاصرة , وهو في هذا السياق يقسم الى اتجاهين اثنين: (٣٢)

الاتجاه الاول: الخط التقليدي الذي ينطلق من مفردات الاجتهادات التأريخية واساليبها من دون دراســـة المتغيرات الكبيرة التي تحكم الواقع في تطور قضاياه وحاجاته ووسائله وعلاقاته , سواء من ناحية طريقة الحكم وعنوانه وارادته وتنظيمه او من ناحية الاوضاع السياسية التي تحيط بـــه او من جانب التحـــديات الفكرية التي تترك تأثيراتها على المسألة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

الاتجاه الثاني : الخط التوفيقي بـــين المضمون الاســـلامي والمضمون العصري , وهذا هو الذي ينتهج المثقفون الاسلاميون في انفتاحهم على الخطوط الثقافية المعاصرة المتأثرة بالتفكير الغربي في اتجاهاته المتنوعة

في الدوائر السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي استطاعت التأثير في المجتمعات الاسلامية.

اما من زاوية القائمين على الخطاب الاسلامي او حملته فيقسم ذلك الخطاب الى ثلاثة اقسام : (٣٣)

1- الخطاب الجماهيري (او الاستغاثي الشعبي) وهو خطاب القاعدة العريضة من الجماهير الاسلامية التي شعرت بفطرتها ان عمليات التحديث والعلمنة والعولمه لم يكن فيها خير ولاصلاح لها , كما لاحظت ان هذه العمليات في جوهرها عمليات تغريب سلبتها موروثها الديني والثقافي , ولم تعطها شيئا في المقابل ... هذه الجماهير تحاول التمسك والتشبث بالاسلام (فهي تعرفه جيدا) الى ان يأتي الله بالفرج.

2- الخطاب السياسي : وهو خطاب بعض اعضاء الطبقة المتوسطة من المهنيين والاكاديميين , وطلبة الجامعات والتجار ممن شعروا ايضا, بالحاجة الى عمل اسلامي يحمي الامة ... وقد ادركوا ان العمل السياسي هو السبيل الى هذا، فقاموا بتنظيم انفسهم على هيئة تنظيمات سياسية لاتلجأ الى العنف تتبعها تنظيمات شبابية ومؤسسات تربوية .

3- الخطاب الفكري : وهو الخطاب الذي يتعامل اساسا مع الجانب التنظيري الفكري داخل الحركة الاسلامية.

وتمثل التصنيفات الماضية مقاربات لفهم الخطاب الاسلامي وتسليط الضوء على محتواه الفكري والتنظيمي, وهي تصنيفات ليست نهائية او ثابتة بمعنى ان اقسام كل تصنيف منها غير منفصلة تماما عن الاقسام الاخرى وليست متميزة بوضوح، وانما هي متداخلة بهذه الدرجة او تلك وحسب الظرف السائد والبيئة المحيطة والعوامل المساعدة لهذا الاتجاه او ذاك . لذا فأن بعض الباحثين يتعامل مع الخطاب الاسلامي كوحدة واحدة , ولايعتد بحثيا بالتفرقة بين الاتجاهات المعتدلة في هذا الخطاب مثلا والاتجاهات المتطرفة , حيث يرى هولاء ان "الفارق بين هذين النمطين من الخطاب , فارق في الدرجة لا في النوع, والدليل على ذلك ان الباحث لايجد تمايزا او اختلافا من حيث المنطلقات الفكرية او الآليات بينهما (٣٤) وعلى هذا الاساس يحدد هولاء الكتاب آليات الخطاب الاسلامي الراهن بخمس آليات هي : (٣٥)

1- التوحيد بين الفكر والدين والغاء المسافة بين الذات والموضوع .

2- تفسير الظواهر كلها بردها الى مبدأ او علة اولى تستوي في ذلك الظواهر الاجتماعية او الطبيعية.

3- الاعتماد على سلطة (السلف) او (التراث) , وذلك بعد تحويل النصوص التراثية، وهي نصوص ثانوية الى نصوص أولية تتمتع بقدر هائل من القداسة لاتقل عن النصوص الاصلية .

4- اليقين الذهني والحسم الفكري (القطعي) ورفض أي خلاف فكري - ومن ثم- الا اذا كان في الفروع والتفاصيل دون الاسس والاصول.

5- اهدار البعد التاريخي وتجاهله , ويتجلى هذا في البكاء على الماضي الجميل ويستوي في ذلك العصر الذهبي للخلافة الراشدة , وعصر الخلافة العثمانية.

وواضح من سياق هذا الحديث الذي لايخلو من عمومية ان الكاتب يسقط من حسابه، وجود اختلافات موضوعية وفكرية وبيئية وعقائدية، داخل الخطاب الاسلامي، على الرغم من هذه الاختلافات كانت دائما احدى سمات الخطاب الاسلامي عبر التاريخ . ويظهر ذلك في خطاب الحركات والاحزاب الاسلامية المعاصرة التي

لايتوقف الاختلاف بين (خطاباتها) عند مستوى الاختلاف من حركة الى حركة او من وقت الى اخر، وانما يكون الاختلاف احيانا على مستوى الحركة نفسها وفي الوقت نفسه، إذ "ان هناك حالات يكون فيها لحركة واحدة اكثر من خطاب, وبخاصة في حالة الحركات ذات الجناحين السري والعلني"(٣٦)

وتلعب البيئة او المنظومة الاجتماعية او الاطار السياسي دورا كبيرا في تحديد شكل ومضمون الخطاب الاسلامي, فالاحزاب والحركات الاسلامية مهما كانت طبيعتها وتوجهاتها فهي محكومة ببرامجها السياسية والاجتماعية المستمدة والمرتبطة بواقع معين, ذلك ان "الخطاب يتضمن رؤية ومعالجة لتحد اجتماعي يواجه صاحب الخطاب في المنظومة التي يحيا في اطارها, وقد تكون هذه المنظومة دولة او منظمة غير حكومية او حالة اهلية"(٣٧)

ان هذا التنوع في الحديث عن الخطاب الاسلامي, والاختلاف في تصنيفه وقراءته يعكس حجم الخلاف حول هذا الخطاب الذي يأخذ ابعادا فكرية وسياسية وطائفيه واحيانا شخصية.

ويدخل توصيف ابي زيد السابق في اطار (الخطاب النقدي) الذي قدمه مجموعة من الكتاب العرب للتراث والخطاب العربي الاسلامي وهو خطاب لايبتعد احيانا عن السجالية التي تجعل ردود الافعال ازاء اراء ومواقف الاخرين تتقدم احيانا على الفعل او الرؤية النقدية الاساسية التي تشكل ذلك المشروع او المشاريع الفكرية حيث لايستطيع المتابع لكتابات ابي زيد مثلا اسقاط موقفه الشخصي من اسباب خطابه الهجومي على الخطاب الاسلامي, لاسيما وان معظم ما كتبه ابو زيد في هذا المجال كتبه في خضم معركته المعروفة مع الاسلاميين.

ومجمل القول ان الخطاب الاسلامي الراهن, هو خطاب يحمل سمات مرحلته واهداف منتجه وطبيعة جمهوره وبيئته الاتصالية, وهي عوامل تجعل من ذلك الخطاب خطابات وليس خطابا واحدا, حيث يشكل المناخ السياسي والموقف من قضاياه ابرز المؤشرات في الخطاب الاسلامي كما يظهر من خطاب الاحزاب والحركات الاسلامية في عراق ما بعد ٢٠٠٣ .

فعلى الرغم من المساحة التي شغلتها قوى الاسلام السياسي على الساحة السياسية العراقية بعد ٢٠٠٣ والنجاحات التي حققتها والتي اوصلتها الى سدة الحكم، الا ان خطاب هذه القوى يعيش ازمة لاتبدو نهايتها قريبة برغم التطورات والتحولات التي شهدتها شعارات تلك القوى وبرامجها السياسية حيث "حمل هذا الخطاب بذور سقوطه في لحظة هيمنته ووضع اسباب رحيله في لحظة صعوده لانه اختار ان يكون خطاب رد الفعل، وابتنى نفسه على منظور الاقصاء والخوف"(٣٨).

ان اكبر ازمة يعيشها الخطاب الاسلامي في العراق هي حالة الانقسام والتشرذم التي عاشتها الحركة الاسلامية ليس على اساس طائفي فقط وانما على اسس سياسية حزبية داخل الطائفة الواحدة بالاضافة الى عدم الوضوح الذي تتسم فيه برامج وشعارات الاحزاب والحركات الاسلامية.

وقد ترتب على ذلك ان فقد الخطاب الاسلامي بريقه لدى الجمهور, وقد تجسد ذلك في الخسائر التي تعرض لها بعض تلك الاحزاب والحركات في الانتخابات ما دفع بعضها الى "التسابق نحو اسقاط الصفة الاسلامية عن قوائمها الانتخابية بعد ان اثبتت التجربة في العراق انك حالما تفكر بطريقة دينية لابد ان تعلن انك شيعي او سني وباعلانك هذا لابد قد فقدت مقدما جزءا كبيرا من جمهورك" (٣٩) حيث بدا الخطاب الاسلامي

صدى لحاله الانقسام التي عاشتها الحركة الاسلامية نفسها.

ويشكل خطاب الحزب الاسلامي العراقي والمجلس الاعلى الاسلامي العراقي نموذجا لحـــالة الخطاب الاسلامي في العراق من حيث الانقسام وعدم الوضوح. فالحزب الاسلامي يؤكد في مشروعه السياسي انه يعتمد "خطابا سياسيا للعراقيين جميعا يتجاوز أي طرح فئوي او قومي او طائفي معتبرا العراق كيانا سياسيا واحـــدا، والعراقيين شعبا واحدا تجمعهم مصالح ومهام وطنية مشتركة"(٤٠) وفيما يخص الطابع الاســـلامي لخطابـــه يوضح الحزب : "عندما نتكلم عن الاسلام , فنحن ننطلق من المشتركات القائمة بين جميع المسلمين بـــأختلاف قومياتهم ومذاهبهم متجاوزين جوانب الاختلاف التي لامكان لها في هذا البنيان المجتمعي المتماسك"(٤١) الا ان من يقرأ بيانات الحزب لايجد التزاما تاما بهذه الاسس التي حددها الحزب لخطابه ذلك ان بعض البيانات لاتخلو من نبرة طائفية (٤٢) بالاضافة الى ان مشروع الحزب السياسي لاينفصل عن القراءة الطائفية للوضع السياسي في العراق من خلال "التمسك بامكانية بناء كتلة سنية كبرى في مواجهة الاسلام السياسي الشـــيعي، وهذا الخيار البديل الاستراتيجي يضع تصورا لتحالف مع الاكراد والتركمان السنة والقوى الشيعية العلمانية" (٤٣).

الامر نفسه ينطبق على خطاب المجلس الاعلى الذي يؤكد قـــادته ان كونهم رجال دين لايكرس المجلس كحالة دينية محض , وانما مشروعه وبرنامجه وخطابه السياسي يشير الى انه مشـــروع وطني (٤٤) لكنه يوكد من جانب اخر على هويته الدينية من خلال رفع شعار" ديننا سياستنا وسياستنا ديننا "(٤٥) وهو توجه مقـــرون بالحرص على احياء الشعائر الدينية والدعوة الى "حمايتها قانونيا وتقوية مؤسساتها وتطوير عملها وتفعيله بـــما يخدم الاهداف العامة لحركة المجتمع الدينية والمدنية"(٤٦) وهو حرص لايخلو من اهداف سياسية كما اثبـــتت المواسم الانتخابية الماضية ويمكن الاشارة في هذا المجال الى الازمة التي اثيرت بـــين المجلس والقـــيادي في حزب الدعوة الاسلامية حسين الشامي حول الشعائر الحسينية قبيل انتخابـــات مجالس المحـــافظات مطلع العام ٢٠٠٩ كدليل على ذلك.

الهوامش

1- ابو الفضل جمال الدين بن منظور ,لسان العرب، نشر ادب الحوزة، قم (ايران) ١٤٠٥هـ ج ١ ص٣٦١.

2- سورة ص، الاية ٢٠ .

3- ابو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن ، منشورات مؤسسة الاعلمي، بيروت، (بدون تاريخ)، ج٨ ص٣٤٩ .

4- محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القران ، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية ، قم (ايران)، (بدون تاريخ)، ج١٧ ص١٩٠ .

5- جمال الدين محمد بن احمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي ، تفسير الجلالين، دار المعرفة للطباعة والتوزيع، بيروت، (بدون تاريخ)، ص٦٠٠ .

6- جليل وادي حمود, الخطاب الاعلامي وادارة الازمة السياسية الدولية دراسة في الخطاب العراقي اثناء الازمات مع مجلس الامن الدولي، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الاداب، جامعة بغداد، ١٩٩٨، ص ٢٧-٢٨.

7- ابو القاسم محمد بن عبدالغفور الكلاعي الاشبيلي الاندلسي، احكام صنعة الكلام، تحقيق: محمد رضوان الداية، ط٢ ،عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٥، ص ٩٧.

8- جليل وادي حمود، المصدر السابق، ص٢٤ .

9- وسام فؤاد، الخطاب الاسلامي.. الماهية ودلالات التجديد: t t t kÉëë~ã Ñì ~Çï ~å~íáÅçã K

10- هادي نعمان الهيتي ، في فلسفة اللغة والاعلام ، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ٢٠٠٧ ص١٨.

11- محمد عابد الجابري ، الخطاب العربي المعاصر، دراسة تحليلة نقدية، ط٥، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، ١٩٩٤، ص١١.

12- هادي نعمان الهيتي، المصدر السابق، ص٢٨

13- جيهان احمد رشتي ، الاسس العلمية لنظريات الاعلام، ط٢، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٧، ص١٨٥ .

14- نصر حامد ابو زيد ، النص والسلطة والحقيقة ارادة المعرفة وارادة الهيمنة، ط٥، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٦، ص٨

15- أروى خالد العاني ، الخطاب الدعائي الاسرائيلي الموجه ضد العراق , دراسة تحليلية لتصريحات المسؤولين الاسرائيليين للفترة ١٩٩٠/٨/٢-١٩٩١/١/١٧ ، رسالة ماجستير، غير منشورة كلية الاداب، جامعة بغداد، ١٩٩٤، ص١٧-١٨.

16- أروى خالد العاني، المصدر السابق ص ١٩ .

17- كرم شلبي، الخبر الصحفي وضوابطه الاسلامية، ط٣، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ٢٠٠٨ ،ص٢٩ .

18- كرم شلبي ، المصدر نفسه، ص٢٩ .

19- اسماعيل قاسمي ولويزه اورحمون، القيم الاخبارية والعوامل المؤثرة فيها، دراسة مقارنة بين نشرات الاخبار في التلفزيون الجزائري وقناة الجزيرة وقناة (tfi) الفرنسية : itfc.nireblogkÅçã

20- اسماعيل قاسمي ولويزه اورحمون، المصدر نفسه .

21- حميد جاعد محسن ، التخطيط الاعلامي ، المفاهيم والاطار العام ، دار الشروق,عمان ١٩٩٨، ص ٧٣.

22- صحيفة الشرق الاوسط ، العدد (١٠٩٩٩)، في ٨ كانون الثاني ٢٠٠٩ ، ملحق اعلام

23- كرم شلبي ، المصدر السابق ص١٦٣.

24- ~åÄÜÉííÉ j مفردة فرنسية تعني الاطار الاعلى او الاسفل للثوب وتستخدم في الاشارة الى (العنوان الرئيس) او (رأسية المقال الصحفي) وقد شاع استخدامها في الصحافة للدلالة على العنوان الرئيس الذي يمتد على جميع اعمدة الصفحة وخاصة في الصفحات الاول من الصحف، انظر google. translate: franch to Arabic .

25- نصر حامد ابو زيد، التفكير في زمن التكفير، ضد الجهل والزيف والخرافة، ط ٢، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٥، ص٦٤ .
26- محمد حسين فضل الله ، الحركة الاسلامية مالها وما عليها، دار التوحيد (بدون مكان او تاريخ)، ص٢٩.
27- يوسف القرضاوي، خطابنا الاسلامي في عصر العولمة، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٤ ص١٥-١٦ .
28- عصام البشير،سمات الخطاب الإسلامي المعاصر : www.islamonline.net
29- نبيل شبيب، الخطاب الاسلامي ..تطور ام استئصال؟: www.aljazeera.net
30- احمد الموصلي ، موسوعة الحركات الاسلامية في الوطن العربي وايران وتركيا ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٤، ص٨٧-١١٥.
31- محمد سليم العوا عن : احمد الموصلي، المصدر السابق ص٩٦ .
32- محمد حسين فضل الله ، المصدر السابق، ص٢٧٩-٢٨٤.
33- عبد الوهاب المسيري، معالم الخطاب الاسلامي الجديد www.islamaonline.net
34- نصر حامد ابو زيد ، نقد الخطاب الديني، ط٤ مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٣، ص٦٧.
35- المصدر نفسه ص٦٧ .
36- وسام فؤاد، المصدر السابق .
37- المصدر السابق.
38- جابر حبيب جابر , ازمة الخطاب الاسلامي في العراق , صحيفة الشرق الاوسط العدد (١١١١٤) في ٣ ايار ٢٠٠٩.
39 - المصدر نفسه.
40- المشروع السياسي للحزب الاسلامي العراقي , موقع الحزب على الانترنت WWW.IRAQIPORTY.COM.
41- المشروع السياسي للحزب الاسلامي العراقي، المصدر السابق.
42- ينظر على سبيل المثال البيانات (١٤٨-١٥٣-١٥٧) التي اصدرها الحزب في مناسبات مختلفة WWW.IRAQIPORTY.COM
43- فريق ابحاث، ديناميكيات النزاع في العراق .. تقيم استيراتيجي ، معهد الدراسات الاستيراتيجية ، بغداد، ٢٠٠٧، ص٥٥-٥٦ .
44- عمار الحكيم. مقابلة اجرتها معه مجلة ديرشبيغل الالمانية، تنظر الترجمة العربية للمقابلة المنشورة في موقع المجلس الاعلى في ٢٢-٦-٢٠٠٩ : www.almejlis.org .
45- التحالف المدني لانتخابات حرة ، برامج الاحزاب السياسية المشاركة في انتخابات مجلس النواب العراقي ١٥ كانون الاول٢٠٠٥ بغداد ٢٠٠٥ ص١١.
46- فاطمة الجاف (اعداد) برامج القوى الاسلامية العراقية (الشيعية والسنية) المشاركة في الانتخابات البرلمانية لعام ٢٠٠٥ : Www.mesopotamia4374hÇã